برنامج الخاتمة - الحلقة (١٣٦) - اعرف امامك (ج٣٥)
(29) صحائف العقيدة السليمة - القسم
الصحيفة (٥) - شؤون عقيدة التوحيد (ق٥)
الشأن (٢) - اركان عقيدة التوحيد (ج٤)
الركن (١): التوحيد في آفق ما قبل الحقيقة المحمدية (ق٣)
التوحيد فكرة عن الله نأخذها من المعصوم
الثلاثاء : ٥/شوال/١٤٤٢هـ - الموافق ١٨/٥/٢٠٢١م
عبد الحليم الغزّي

في الحلقة الماضية وصلتُ معكم إلى ما جاء في مناجاة العارفين، وهي مرويةٌ عن إمامنا السجَّادِ صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليه، في (مفاتيح الجنان)، إنَّهُ الكتابُ المتوفرُ في بيوتكم..

آخرُ شيء وقفنا عندهُ في الحلقة الماضية مناجاةُ العارفين: **إِلَهِي قَصُرَت الأَلْسُنُ عَنْ بُلُوغِ ثَنَائك كَمَا يَلِيْقُ بِجَلَالك** - فكيفَ لا تكونُ الألْسُنُ قاصرةً، جُعِلَ اللِّسانُ على العقلِ على الفُؤادِ دليلاً، إذا كانت العقولُ هي بنفسها قاصرةً وإذا كانت القلوبُ هي بنفسها وفي أصلِ حقيقتها قاصرةً، فكيفَ لا تكونُ الألْسُنُ قاصرةً؟! والثناءُ؛ هو ذكرُ الجميل، فحينما نتحدَّثُ عن ثناءِ لله سبحانهُ وتعالى إنَّنا نتحدَّثُ عن جمالهِ، إنَّنا نتحدَّثُ عن خيريته، إنَّنا نتحدَّثُ عن طهارته ونزاهته وقداسته، قطعاً كُلُّ هذه العناوين بحسبِ ما جاءنا عن المعصومِ وعن المعصومِ فقط.

وَعَجَزَت العُقُولُ عَنْ إِدْرَاك كُنْه جَمَالك، وَانْحَسَرَت الأَبْصَارُ دُونَ النَّظَرِ إِلَى سُبُحَات وَجْهِك، وَلَم تَجعَل لِلْخَلقِ طَرِيْقاً إِلَى مَعْرِفَتك إِلَّا بِالْعَجْزِ عَنْ مَعْرِفَتك - وهذا العجزُ إنَّمَا يكونُ ناتجاً عن عميقِ المعرفة، لا أن يكونَ الإنسانُ جاهلاً بشكلٍ كاملٍ فيما يرتبطُ بمعرفة الله سبحانهُ وتعالى ونقولُ حينئذٍ، من أنَّ جهل الإنسان وعجزهُ هو هذا الَّذي تتحدَّثُ عنهُ هذه المناجاة، إنَّما يصلُ الإنسانُ إلى العجزِ عن المعرفة بعدَ أن يكونَ قد تعلَّمَ وتعلَّمَ وتعلَّمَ، وبعدَ أن يكونَ قد عَرِفَ وَعَرِفَ وعَرِف، وبعد أن يكونَ قد تعمَّقَ وتعمَّقَ وتعمَّق، ولن يكون مُتعمقاً ما لم يكن مُتدبِّراً، ما لم يكن مُتفهِّماً، ما لم يكن مُتفكِّراً، حينئذٍ يصلُ الإنسانُ إلى مُستوى هذه المعرفة الَّتي تُحدِّثنا المناجاةُ الشريفةُ عنها.

إِلَهِي، إِلَهِي فَاجْعَلْنَا مِنَ الَّذِيْنَ تَرَسَّخَت أَشْجَارُ الشَّوقِ إِلَيْكَ فِي حَدَائِقِ صُدُورِهِم - هذهِ المعاني تتفرّعُ عنْ حيرة المعرفة، فهذهِ المناجاةُ تُحدِّثنا عن حيرة المعرفة، عن حيرة الحُبِ وعن وَلَه العشقِ، لا عن حيرة الجهالة والضلالة.

إِلَهِي فَاجْعَلْنَا مِنَ الَّذِينَ تَرَسَّخَت أَشْجَارُ الشَّوقِ إِلَيْكَ فِي حَدَائِقِ صُدُورِهِم وَأَخَذَت لَوعَةُ مَحَبَّتِكَ بِمَجَامِعِ قُلُوبِهِم - هل نستطيعُ أن نُحبَّ الله؟ لا نستطيعُ أن نُحِبَّهُ لأنَّنا لا نعرفهُ، لأنَّنا لا نتذوّقُ جمالهُ، إنَّما أودعَ فينا في بواطنِ عقولنا، وفي بواطنِ ضمائرنا ومكنونِ أنفسنا من فطرة تتناغمُ معَ من يبعثهم إلينا من الرُّسُلِ والأنبياء والأوصياء والأئمَّة، من الدُّعاة الَّذينَ يبعثهم إلينا كي يُقرِّبونا إليه، كي يُعرِّفونا عليه، كي يصفونَ الخالقَ الَّذي خلقنا، يصفونهُ لنا بحسبِ معرفتهم، فلا نأخذُ وصفهُ إلَّا منهم، ولا نستدلُّ عليهِ بحقائق الأدلَّة إلَّا بحسبِ منهاجهم، أنا أتحدَّثُ عن الدينِ في مرحلة التأويل.

الدينُ في مرحلة التنزيل كانَ يكتفي بأن يستدل الإنسانُ بالآثارِ بحسبِ هذه البديهة؛ (مَن أنَّ الأثر يدلُّ على المؤثر)، وفي مرحلة التنزيلِ فإنَّ الاستدلال سيكونُ بالآ ثارِ الَّتي هي من أمثالنا، فأستدلُّ على الله بخلقتي وبخلقة ما حولي، هذا هوَ التوحيدُ في مرحلة التنزيل.

لكنَّ التوحيدَ في مرحلة التأويل يترقى، يترقى إلى أنَّنا نتعاملُ معَ اللهِ سُبحانهُ وتعالى عبرَ وجههِ الأعظم، عبرَ الإمام المعصومِ وفقاً لمضمونِ بيعة الغدير، هذا هو المضمونُ الحقيقي لبيعة الغدير.

وَأَخَذَت لَوعَةُ مَحَبَّتِكَ بِمَجَامِعِ قُلُوبِهِم - إنَّما نُحبَّ الله من خلال حُبِّنا لهم، من أحبَّهم فقد أحبَّ الله، فكُلَّما ازددنا حُبّاً وازددنا معرفةً وازددنا توجُّهاً إليهم كُلَّما تعمّق حُبّ اللهِ في نفوسنا، وكُلَّما زادَت معرفةُ اللهِ في عُقولنا وقُلوبنا، وتوجَّهت وأشرقت وفاضت وتفجَّرت ينابيعُ الحكمة حينئذٍ بإخلاص المعرفة من القلوبِ على الألسنة، وكُلَّما أخلصنا في توجّهنا إليهم؛ أخلصنا في توجّهنا إلى الله، فهم البابُ الَّذي يؤتى اللهُ منه، وهم الوجهُ الَّذي بينَ أظهرنا نتوجَّهُ إليه ونتواصلُ معه، هذا هو دينُ مُحمَّد وآل مُحمَّد وهذا هو توحيدهم.

وَأَخَذَت لَوعَةُ مَحَبَّتِكَ بِمَجَامِعِ قُلُوبِهِم فَهُم إِلَى أَوْكَارِ الأَفْكَارِ يَأْوُون - أيَّةُ أفكارٍ هذه؟ إنَّها الأفكارُ الَّتي تستندُ إلى عقلٍ بناؤهُ وتكوينهُ من طينة مضمونِ بيعة الغدير.

فَهُم إِلَى أَوْكَارِ الأَفْكَارِ يَأْوُون، وَفِي رِيَاضِ القُرْبِ وَالْمُكَاشَفَةِ يَرْتَعُون - المناجاةُ لا تتحدَّثُ عن مكاشفات العُرفاء والصوفية، هذا الهراءُ لا شأن لنا بهِ، الحديثُ عن مُكاشفة تستندُ إلى حقائق المعرفة المستلَّة من قُرآنهم المفسِّر بتفسيرهم.

وَمِنْ حِيَاضِ الـمُحَبَّةِ بِكَأْسِ الْمُلَاطَفَةِ يَكْرَعُون وَشَرَايِعَ الْمُصَافَاةِ يَرِدُون - هذه هي العُيونُ الصافيةُ النقيّةُ الَّتي يُحدِّثنا عنها أميرُ المؤمنين صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليه.

هكذا يقولُ أميرُ المؤمنين صلواتُ الله عليه: **وَلَا سَوَاء، وَلَا سَوَاء، وَلَا سَوَاء، وَلَا سَوَاء حَيْثُ ذَهَبَ النَّاسُ إِلَى عُيُونٍ كَدِرَة** - إنَّهم مراجعُ النَّجف، إنَّهم عُرفاءُ الشيعة - **وَلَا سَوْاء حَيْثُ ذَهَبَ النَّاسُ إِلَى عُيُونٍ كَدِرَةٍ يُفْرِغُ بَعْضُهَا فِي بَعض** - إنَّها عيونُ المياه الثقيلة، إنَّها عيونٌ مياه المجاري، هنيئاً لهم بها، ووالله فإنَّ عُيونَ المياه الثقيلة، وإنَّ عيونَ مياه المجاري لهي أطهر تريليونات المرّات من هذه العيون الكدرة الَّتي ذهبوا إليها وجاءونا بدينٍ قذرٍ وبعقيدة قذرة منها - **وَلَا سَوَاءَ حَيْثُ ذَهَبَ النَّاسُ إِلَى عُيُونٍ كَدِرَةٍ يُفْرِغُ بَعْضُهَا فِي بَعض وَذَهَبَ مَن ذَهَبَ إِلَينَا** - إلى أين نذهب حينما نريدُ أن نذهب إليهم في زماننا هذا؟ إلى قُرآنهم المفسِّر بتفسيرهم وإلى حديثهم المفهَّم بقواعد تفهيمهم، هذه هي العيونُ الصافيةُ النقية.

وَذَهَبَ مَن ذَهَبَ إِلَينَا إِلَى عُيُونٍ صَافِيَةٍ تَجْرِي بِأَمْرِ رَبِّهَا - ومن هم أربابها؟ مُحمَّدٌ وآلُ مُحمَّد، ربّها هو صاحبُ الأمر؛ ﴿**وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا**﴾، المفضل في تأويل هذه الآية يُحدِّثنا عنِ الصَّادق المصدق: "**وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا**"، بِظُهُورِ صَاحِبِ الْأَمْرِ، فإمامُ الأرضِ ربُّ الأرض، وربُّ الأرضِ إمامُ الأرض - **لَا نَفَاذَ لَهَا وَلَا انْقِطَاع** - العرفانُ من هنا، والفقهُ من هنا، والقُرآنُ من هنا، والعقيدةُ من هنا.

وَمن حِيَاضِ الـمَحَبَّة بِكَأس الْمُلَاطَفَة يَكْرَعُون وَشَرَايِعَ الْمُصَافَاة يَرِدُون - هنا هنا العيونُ الصافيةُ وهنا الصفاءُ والـمُصافاةُ، وهنا النقاءُ هنا هنا، ماذا ترتب على ذلك؟ بشكل قطعي - **قَدْ** - (قد) إذا جاءت مع الفعل الماضي فإنَّها تُؤكِّدُ تحقيقَ وقوع الفعل، فما يأتي بعدها بصيغة الماضي يكونُ مؤكَّداً وواقعاً وحقيقةً - **قَد كُشفَ الغطَاءُ عَنْ أَبْصَارِهِم** - فمن جاءَ من هذا الطريق ووصلَ إلى شرايع الـمصافاة ووردَ منها، وردها (**وَشَرَايِعَ الْمُصَافَاة يَرِدُون**)، وَرَدَ هذه الشرايع بعيداً عن الشرايع الكَدِرة القذرة الَّتي جاءتنا منها كُتبُ العقائد وكُتبُ علم الكلام في حوزة النَّجف، فمن ورد شرايع المصافاة هذه فإنَّهُ يصلُ إلَى هذه النتيجة: **قَد كُشفَ الغطَاءُ عَنْ أَبْصَارِهِم** - إنَّها البصائر، قدرةُ الإدراك الهائلة بالقياس إلى العقل والوجدان والحواس. وماذا بعدَ؟ - **وَانْجَلَت ظُلْمَةُ الرَّيْبِ عَن عَقَائدهم وَضَمَائرِهِم** - وماذا بعد؟ - **وَانْتَفَت مُخَالَجَةُ الشَّكِّ عَنْ قُلُوبِهِم وَسَرَائِرِهِم** - وماذا بعد؟ - **وَانْشَرَحَت بِتَحْقِيقِ الْمَعْرِفَة صُدُورُهُم** - هذه هي المعرفةُ الَّتي تقودنا إليها بيعةُ الغديرِ إذا ما كُنَّا أوفياء لها، لا كما فعلَ مراجعُ النَّجف كما يقولُ إمامُ زماننا: (وَنَبَذُوا العَهْدَ الْمَأخُوذَ منِّهُم وَرَاءَ ظُهُورِهِم كَأَنَّهم لَا يَعْلَمُون) هذه المضامينُ تتحققُ حينما نتوجهُ إلى خزائنِ علم الله، إلى خُزَّانِ علم الله، من هم؟ إنَّهم مُحَمَّدٌ وآلُ مُحَمَّد، وهُم خزائنُ أسرارِه صلواتُ اللهِ عليهم، فهذه المعاني لا تتحقَّق إلَّا في التوجّهِ إليهم، وحينما نُوقِفُ حياتنا في خدمتهم نستطيعُ أن نُحقِّق شيئاً من هذه المعاني.

وَعَلَت، وَعَلت لِسَبْق السَّعَادَة فِي الزَّهَادَة هِمَمُهُم - الزهادةُ ما هي بثوبٍ قصيرٍ أو بثوبٍ عتيق، وما هي بكسرة خبزٍ يابس، الزهادةُ أن نزهد في كُلِّ شيء يُبعِدُنا عنهم، المرضُ معهم لابُدَّ أن يكون أحبَّ إلينا من الصحة معَ غيرهم، الخوفُ معهم لابُدَّ أن يكون أحبَّ إلينا من الأمنِ معَ غيرهم، الهوانُ الدنيويّ والحاجةُ الدنيويةُ تكونُ أحبّ إلينا من العزَّة الدنيويّة معَ غيرهم، الفقر معهم، العُسر معهم، أحبّ إلينا من الغنى والراحة معَ غيرهم، وهكذا في كُلِّ عنوانَينِ عنوانٌ تميل النفوسُ والشهواتُ إليه، وعنوانٌ تنفرُ النفوسُ وتكفهرُّ الشهواتُ منه، العنوانُ المؤلمُ إذا كانَ معهم فهوَ الأحبُّ إلينا من العنوان المريح إذا كانَ معَ غيرهم، هذه هي الزهادةُ الحقيقية.

وَعَدُبَ فِي مَعِينِ الْمُعَامَلَة شِرْبُهُم - ماذا يقولُ قُرآنهم على سبيل المثال؟

في سورة الملك وفي الآية الأخيرة من سورة الملك وهي الآيةُ الثلاثون بعد البسملة: ﴿**قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْراً** - إنْ غابَ إمامكم - **فَمَن يَأتيكُم بِمَاء مَّعِين**﴾، هذا في وجه من وجوه الآية بحسبِ تأويلهم لا بحسبِ تأويلي، لستُ أنا الَّذي أؤوِّلُ كتاب الله، من أنا حتَّى أؤول كتاب الله، هذا تأويلهم في رواياتهم وأحاديثهم: "**قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْراً فَمَن يَأتيكُم بِمَاء مَّعِين**"؛ **إِنْ غَابَ إِمَامكُم أو إِنْ انْقَطَع علمُه عَنْكُم** - فمن يأتيكم بالعلم الحقيقي الَّذي هو الما ء المعين، وهذا أيضاً في رواياتهم، كُلُّ هذا الكَلام في أحاديثهم لا أجدُ وقتاً كَي استعرض لكم الأحاديث من مصادرها.

وإذا ذهبنا إلى سورة الجن وإلى الآية السادسة بعد العاشرة بعد البسملة: ﴿**وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوْا عَلَى الطَّرِيقَة لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقاً**﴾، الطريقةُ؛ ولايةُ عليّ، الطريقةُ؛ معرفةُ إمام زماننا، هذا الكَلامُ ما هو من عندي، هذا تأويلهم، وما يعلم تأويله إلَّا اللهُ وهُم صلواتُ اللهِ عليهم، هذا في رواياتهم، في الكافي هنا.

هذا الماءُ الغَدَقُ الَّذي تُسقى به القلوبُ والعُقول هو هذا الَّذي تتحدَّث عنهُ هذه المناجاة الشريفة: **وَعَدُبَ فِي مَعِينِ الْمُعَامَلَة** - مع من؟ مع إمامِ زمانهم **وَعَدُبَ فِي مَعِينِ الْمُعَامَلَة شِرْبُهُم وَطَابَ فِي مَجْلِسِ الأُنْسِ سِرُّهُم** - هذا أنسهم بإمامِ زمانهم، هذا أُنسهم بمعرفتهم لـمُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّد، يأنسونَ بمعرفتهم لمضمونِ بيعتهم الغديرية، ويأنسونَ لوفائهم بقدرِ ما يستطيعونَ لهذه البيعة.

لا زلتُ أقرأ عليكم من (مفاتيح الجنان)، أتمنَّى أن أشرح هذه المناجيات وهذه الأدعية، وإنَّني لأشعرُ بأُنسٍ ولذَّة وأنا أتجوَّلُ بينَ عبائرها..

من مناجاة العارفين إلى المناجاة الشعبانية:

وهي من مناجياتهم المعروفة صلواتُ اللهِ عليهم، ماذا نقرأ فيها؟ هكذا نقرأ: **إِلَهِي هَبْ لِي كَمَالَ الانْقطَاعِ إِلَيْك وَأَنر أَبْصَارَ قُلُوبِنَا** - هذه هي البصائر - **وَأَنر أَبْصَارَ قُلُوبِنَا بِضِيَاء نَظَرِهَا إِلَيْك** - هل نستطيعُ ذلك من دونِ المعصوم؟ نحنُ على مستوى الألفاظ، على مستوى وصف اللهِ بحدود اللغة القاصرة، لا نستطيعُ أن نصل إلى ذلك إلَّا عبرَ ما يأتينا من المعصوم، فما بالكم والحديثُ هنا عن عظيمِ هذه المعاني..

عينُ الله النَّاظرة هو المعصومُ صلواتُ الله وسلامهُ عليه، وإذا كانَ لنا من قُوَّة نظرٍ بعيونِ قلوبنا فإنَّ الطاقةَ تأتي من عينِ اللهِ النَّاظرة، عينُ الله النَّاظرة هو الحُجَّةُ بن الحسن، القُوَّةُ تأتي من هناك، والطاقةُ تتنزَّلُ علينا من هناك، من عين الله النَّاظرة.

- **وَأَنِر أَبْصَارَ قُلُوبِنَا بِضِيَاء نَظَرِهَا إِلَيْك حَتَّى تَخرِقَ أَبْصَارُ القُلُوب حُجُبَ النُّوْر** - نحنُ هكذا نقرأ في أحاديثنا: من أنَّ السُجودَ على تُربة الحُسَينِ يَخرقُ الحجبَ السبع، السجودُ على تربة الحُسينِ يكونُ سبباً لأن تخترقَ صلاتنا كُلَّ الحُجُبِ فيما بينها وبينَ الله، هذا قطعاً إذا كانَ السُجودُ على تربة حُسينيّة، وإذا كانَ السجودُ في صلاة عَلَويَّة، لا أن نُصلِّي ونحنُ لا ندري إلى أيِّ جهة نتوجَّه، لا أن نُصلِّي ونحنُ هكذا نعتقدُ كما علَّمنا هؤلاء الأغبياءَ الثولان في النَّجف من أنَّ ذكرَ عليّ في التشهُّد الوسطي والأخير يُبطلُ الصَّلاة، ذكرُ عَلِيٍّ يُبطل الصَّلاة والسجودُ على تُرابِ هذا الترابَ من تُرابِ كربلاء، تُراب! لا قيمة لهُ، لكنَّهُ يُنسَبُ إلى حسينٍ، فهذا التُرابُ يُعطي لصلاتنا طاقةً تخرقُ الحُجُبَ فيما بيننا وبينَ الله، وذكرُ عليٍّ يُبطلُ صلاتنا؟! فتُرابٌ يُنسبُ إلى حُسينٍ يُعطي الصَّلاة طاقةً تكونُ خارقةً للحُجُب، فماذا لو حلَّت معرفةُ حُسينٍ بشكلٍ حقيقيٍّ في العقلِ والقلب؟! حينئذٍ تتحقَّقُ هذه المعاني، ولكن أنَّى لنا بهذه المعرفة، قلوبنا مُظلمةٌ بقذارات الثقافة النَّاصبية، عقولنا متسخةٌ بأوساخِ الثقافة النَّاصبية..

حَتَّى تَخرِقَ أَبْصَارُ القُلُوبِ حُجُبَ النُّوْرِ، فَتَصلَ إِلَى مَعْدِنِ العظَمَة - ومعدنُ العظمة هم، في دعاء البهاء: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ منْ عَظَمتِكَ بِأَعْظَمِهَا)، وأعظمُ العظمة؛ تجلَّى في الحقيقة الـمُحَمَّديَّة العُظمى، ومنها تجلَّى في مُحَمَّد وعَلِيٍّ وَفَاطِمَة أَئِمَّتُنا وسادَتُنا - **فَتَصلَ إِلَى مَعْدِنِ العَظَمَة وَتَصِيرَ أَرْوَاحَنَا مُعَلَّقَةً بِعِزِّ قُدْسِك، إِلَهِي إِلَهِي وَاجْعَلْنِي ممَّنْ نَادَيتَهُ فَأَجَابَك** - الَّذي يُناديني هو المعصومُ، الله لا يُناديني، اللهُ يُنادي المعصوم، المعصومُ هو الَّذي يُناديني، "**كَانَ سَلمانُ مُحدَّثاً** - الصَّادقُ يقول - كَانَ سَلمانُ - إنَّهُ سلمانُ الـمُحَمَّديّ - **كَانَ سَلْمَانُ مُحَدَّثاً** - يُخبرنا الصَّادقُ: **من أَنَّهُ كان مُحدَّثاً عن إمامه** "، أمَّا مُحَمَّدٌ وآلُ مُحَمَّد فهم مُحدَّثون عن الله، سلمانُ وأمثالُ سلمان مُحدَّثون عن أئمَّتهم، المنادي الَّذي يُناديهم إمامُهم.

إِلَهِي إِلَهِي اجْعَلْنِي ممَّنْ نَادَيتَهُ فَأَجَابَك - في رواياتنا الصوتُ الَّذي سمعهُ موسى من الشجرة من شجرة الطور، وذلك النورُ الَّذي أشرق، وتلكَ الكلماتُ الَّتي كَلَّم الله بها موسى بحسب الرواية عن أمير المؤمنين: (**إِنَّهُ صوتُ الحُجَّة بن الحسن**)، قد يسخرُ النَّواصبُ من هذا فليذهبوا إلى الجحيم، وقد يُشكِّكُ الَّذين يقبعون في النَّجف فليذهبوا إلى الجحيم، هذه رواياتُ وأحاديثُ مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّد - **وَلَاحظْتَهُ فَصَعِقَ لجلَالِك، فَنَاجَيتَهُ سِراً وَعَمِلَ لَكَ**

جَهْراً - إذا أراد اللهُ بعبد خيراً فقَّههُ في الدين، زَهَّدهُ في الدنيا، جعلهُ على هذا الأمر، كُلُّ ذلكَ بالتوفيق، قطعاً للتوفيقِ مُقدِّماتٌ، وأوَّلُ هذهِ المقدِّمات العقيدةُ السليمة، مراراً وكراراً أقولها: (**من أنَّ العقيدة السليمة هي الشرطُ الأوَّلُ لخدمةِ إمامِ زماننا**).

فَصَعِقَ لجلَالك فَنَاجَيتَهُ سِرّاً وَعَملَ لَكَ جَهْراً - أيّ توفيقٍ هذا؟!

إلى أن تقول المناجاةُ الشعبانيةُ الشريفة: **إِلَهِي إِلَهِي وَأَلْحِقْنِي بِنُورِ عِزَّكَ الْأَبْهَجِ** - إنَّهُ الحُجّةُ بن الحسن، (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ نُورِكَ بِأَنْوَرِه)، فنورُ الذَّات الإلهيّة ليس فيه من درجات، إنَّما الدر جاتُ في النور المتجلي من الحقيقة المُحمَّديَّة، لماذا؟ لأنَّ الحقيقة المُحمديَّة تتواصلُ مع الخلقِ بسلاسل الأسبابِ والعلل، وسلاسلُ الأسبابِ والعلل تكون ما بين قُدرة الفعلِ وقدرة الانفعال، وفي الحقيقة الانفعالُ ما هو بقدرة في المنفعل، لكنَّ التعابير هكذا تكون، وهكذا تأتي، فما بين قدرة الفعلِ والانفعال تترتبُ المراتبُ والدرجات، في كُلِّ هذه الموجودات، وفي كُلِّ هذه الكونيات، ومن هنا فهناك النورُ الأنور، وهناك النورُ الَّذي هو دون ذلك النور في المرتبة والدرجة، (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ نُورِكَ بِأَنْوَرِه)، وأنورُ النّور إمامُ زماننا.

إِلَهِي إِلَهِي وَأَلْحِقْنِي بِنُورِ عِزَّكَ الْأَبْهَجِ فَأَكُونَ لَكَ عَارِفاً - الَّذي يعرفُ إمام زمانه فإنَّهُ يعرفُ اللهَ، معرفةُ الله معرفةُ إمام زماننا، كُلُّ الأدعية هذه مضامينها، أنا جئتكم بأمثلةٍ وما وقفتُ طويلاً عندَ هذه العبائر - **إِلَهِي** - هذه مناجاة التوحيد، المناجاةُ الشعبانيةُ هي مناجاة التوحيد، وهذا هو التوحيدُ الحقيقيّ، هذا هو توحيدُ مُحَمَّد وآل مُحَمَّد، حينما اخترتُ مناجاة العارفين لأنَّها مناجاةٌ توحيدية، وحين اخترتُ المناجاة الشعبانيةَ اخترتها بقصد وحكمة وعناية ودراية لأنَّها مناجاةٌ توحيديَّة - **إِلَهِي إِلَهِي وَأَلْحِقْنِي بِنُورِ عِزَّكَ الْأَبْهَجِ فَأَكُونَ لَكَ عَارِفاً وَعَنْ سِوَاكَ مُنْحَرِفاً وَمِّنْكَ خَائِفاً مُرَاقِباً** - فطريقُ المعرفة لابُدَّ أن يكون من هنا "طَلَبُ الْمَعَارِفِ مِن غَيرِ طَرِيقَنَا أَهْلِ البَيتِ مُسَاوِقٌ لإِنْكَارِنَا وَقَدْ أَقَامَنِي اللهُ وَأَنَا الحُجَّةُ بنُ الحَسَنِ"، رسالةُ صاحبِ الأمر إلى شيعته، ولكن هل من مُجيب؟ هل من مُعتبر؟ هل من مُستمع؟ هل من ناطقٍ ينطقُ بالحق؟ إلى متى ستبقون شياطين خُرس؟ إلى متى؟ إلى متى؟

ومن المناجاة الشعبانيَّة التوحيديَّة إلى دُعاء كُلِّ ملامحه في التوحيد وآثار التوحيد إلى دعاء الحُسينِ في يوم عرفة:

في أواخرِ ما جاء في هذا الدعاء الشريف: **إِلَهِي، إِلَهِي أَمَرْتَ بِالرُّجُوعِ إِلَى الآثَارِ فَأَرْجِعْنِي إِلَيْكَ** - هذا هو التوفيق، أنا أتحرّكُ باتجاه الآثار، هذا هو جهدي جهدُ العاجزِ بينَ يديك، هذا هو الَّذي أستطيعهُ فأين توفيقك؟ - **فَأَرْجِعْنِي إِلَيْكَ بِكِسْوَةِ الأَنْوَارِ** - هل هناك من كسوة للأنوار تكونُ غيرَ ولاية عليّ؟! غيرَ معرفة فَاطِمَة؟ غيرَ العبودية في فناء صاحبِ الأمر؟ هل هناكَ من كسوة للأنوار تكونُ غيرَ هذه العناوين؟ حينما يشرحونها يتحدَّثون عن معانٍ هُلاميّة، عن أنوار المعرفة والهدايةَ في فناءَ القُربِ والجذب كما عليه أولياءُ اللهِ، عن معانٍ هلاميّة لا نعرفُ رأسها من ذيلها!

بِكِسْوَةِ الأَنْوَارِ وَهِدَايَةِ الاسْتِبْصَارِ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَيْكَ مِنْهَا كَمَا دَخَلْتُ إِلَيْكَ مِنْهَا مَصُونَ السِرِ عَنِ النَّظَرِ إِلَيْهَا - أنت أولويتي، كُلُّ الأولويات تتساقطُ في فنائك، أنت أولويتي فقط - **مَصُونَ السِرِ عَنْ النَّظَرِ إِلَيْهَا وَمَرْفُوعَ الهِمَّةِ** - مرّ علينا الحديثُ عن الأسرار، وعن الأنظار، وعن الهِمَم العالية، كُلُّ ذلكَ مرّ علينا في مناجاة العارفين وفي المناجاةِ الشعبانية، تلاحظون أنَّ ا لأدعيةَ هذه، أنَّ المناجيات هذه تصدر من عينٍ واحدة، هندسةٌ واحدة، منطقٌ واحد، ذوقٌ واحد.

وَمَرْفُوعَ الهِمَّةِ عَنْ الاعْتِمَادِ عَلَيْهَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِير - إلى أن يقول الدعاء الشريف: **إِلَهِي، إِلَهِي عَلِّمْنِي مِنْ عِلْمِكَ الْمَخْزُونِ، وَصُنِّي بِسِتْرِكَ الْمَصُونِ، إِلَهِي إِلَهِي حَقِّقْنِي بِحَقَائِقِ أَهْلِ القُربِ وَاسْلُكْ بِي مَسْلَكَ أَهْلِ الجَذْبِ، إِلَهِي أَغْنِنِي بِتَدْبِيرِكَ لِي عَنْ تَدْبِيرِي وَبِاخْتِيَارِكَ عَنْ اخْتِيارِي وَأَوْقِفْنِي عَلَى مَرَاكِزِ اضْطِرَارِي** - هذه المعاني كيف تتحقَّقُ على أرض الواقع؟ تتحقَّقُ عبر الجهة الَّتي نُخاطبها: (وَذَلَّ كُلُّ شيء لَكُم)، فإنَّ اللهَ حين منحهم هذه الولايةَ منحها لأيِّ شيء؟ لحكمة، فحينما جعلهم أولياء النِّعمِ وسادة الفيض وأوكل الأمور إليهم وجعلهم خلفاءهُ على هذا الوجود فكُلُّ شيء لابُدَّ أن يتفرَّع عن القانون هذا الَّذي جاء مذكوراً في الزيارة الجامعة الكبيرة: (وَذَلَّ كُلُّ شَيءٍ لَكُم)، فإذا أضفنا القانون الآخر: (إِيَابُ الخَلْقِ إِلَيْكُم وَحِسَابُهُم عَلَيْكُم)، الإيابُ والحسابُ ليس في يوم القيامة فقط، صحيحٌ أنَّ الإياب والحساب في يوم القيامة من أوضح مصاديق الإياب والحساب، لكنَّ القضية لا تقفُ عندَ يوم القيامة، ولا يقفُ الأمرُ عندَ بني البشر، (إِيابُ الخَلْق) الخلق كُلُّهم، هذا الأمر يرتبطُ بأصل وُجودهم، ويرتبطُ بأسبابِ بقائهم، ويرتبطُ بعللِ نمائهم، ويرتبطُ بأسبابِ اندثارهم ورجوعهم، ويرتبطُ بأسبابِ فنائهم، ويرتبطُ بأسباب عودتهم بعد فنائهم، ويرتبطُ بأرزاقهم، وما يترتب على ذلكَ في كُلِّ تفاصيلِ شؤونهم من مبدأهم إلى معادهم، (إِيَابُ الخَلْقِ إِلَيْكُم وَحِسَابُهُم عَلَيْكُم)، هذا القانون اجمعوه معَ هذا القانون: (وَذَلَّ كُلُّ شَيءٍ لَكُم) ، سنعودُ إلى الركن الثالث من أركان التوحيد والمناجياتُ تتحدَّثُ بشكلٍ مباشر عن الركن الثالث من أركان التوحيد، (التوحيدُ في أفق عقيدتنا بِمحمَّد وعليٍ وفَاطِمَة وأبناء فَاطِمَةَ من المجتبى إلى القائم إنَّهم أئمَّتُنا جميعاً صلواتُ الله عليهم).

إِلَهِي أَخْرِجْنِي مِن ذُلِّ نَفْسِي وَطَهِّرنِي مِنْ شَكِّي وَشِرْكِي قَبْلَ حُلُولِ رَمْسِي، بِكَ أَنْتَصِرُ فَانْصُرنِي - الدعاءُ طويل وتُلاحظون أنَّ مضامينَ هذه المناجيات تتحدَّثُ عن التوفيق، فكُلُّ هذا لا يكونُ من قبلي وإنَّما بتوفيقٍ من بابِ التوفيق، وبابُ التوفيق هو إمامُ زماننا.

لاحظتم المناجيات إنَّها مناجاةُ العارفين، والمناجاةُ الشعبانية، وما جاء من مُناجاة في دُعاء يوم عرفة، المضامينُ واحدةٌ، والتوحيدُ صارخٌ وبشكلٍ واضح في فناء مُحَمَّد وآل مُحَمَّد صلواتُ الله وسلامهُ عليهم أجمعين، هو هذا الَّذي يقودنا إلى مضامينِ الخُطَبِ العَلَويَّة في التوحيد، وما جاء عنهم وهُم يُحدِّثونَنا في أفقِ التوحيدِ الأوَّل، في أجواء الركن الأوَّل من أركانِ التوحيد في عقيدتنا؛ (التوحيدُ في مستوى ما قبل الحقيقة المُحَمَّديَّة)، ما فوق الحقيقة المُحَمَّديّة، (كَانَ اللهُ وَلَم يَكُن مَعَه شَيء) ، فكُلُّ ما قالوه وكُلُّ ما أخبرونا به يوصلنا إلى حيرة المعرفة، إلى حيرة الحُبِّ، إلى حيرة التوحيد من خلال هذه البوابة من خلال التواصل معَ مُحَمَّد وآل مُحَمَّد عبرَ أدعيتهم، عبرَ مُناجياتهم، عبرَ كُلِّ الأسرار والمعارف الَّتي وضعوها لنا في هذه المنظومة الهائلة من الأدعيةِ والمناجياتِ والزيارات الشريفة.